بقايا الفصاح

« شفيق جبري »

تستفيض في لغة العامّة ألفاظ وتراكيب لا يخطر ببال واحدٍ منّا أنها فصيحة وأنها استعملت في الحديث على نحـــو استعمالها في القديم ، من هذا القبيل قول العامّة : كأنه عَطَسَهُ ، أو ما يقرب من هذا القول ، أي كأنه جاء به شبيهاً له في كل شيء ، خلقه وعادته ومزاجه ونحو ذلك ، وفي اللغة : فلان عطسة فلانٍ أي يشبهه خَلْقاً وخُلقاً فالقولان متشابهان ، الاّ أن العامّة عدّت فعل عطس وهو لازم : عطس يعطِس ويعطُس عطساً وعُطاساً أتته العطسة .

وقد يتفق في بعض الأحايين أن العامّـــة تستعمل لفظاً من الألفاظ فصيحاً ولكنه لم يرد على ألسنتها وروده في أصله وانمـــا تجوّزت بعض التجوز اذا وقـــع قتال بين الناس ونشأت عنه ضوضاء وغير ذلك عبرّت العامّة عن هذا الأمر بقولها : حميت الطوشة ، فالطوش في اللغة خفّة العقل أفلا نجد أن الطوشة العاميّة قريبة من لفظة الطوش الفصيحة فلا بدّ في القتال من شيء من خفّة العقل وما يشبهه ، وقد تفرح العامّة في بعض الأوقات بهـذه الطوشة فتدعو ربّـها أن : « تحمى الطوشة لتلعب بالبرطوشة » ، وماذكرت هذا الاصطلاح الاخير الاّ للاشارة الى البرطوشة ، فلم أجد في اللغة هذه اللفظة ، وانما وجدت ماهو قريب منها في تركيبه ، ففي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغة : المبرطش الدلاّل أو الساعي بين البائع والمشتري وكان عمر رضي الله تعالى عنه في الجاهلية مبرطشاً . أو بالسين المهملة ، فالذي يهمنا من هذا كله أن كلمة البرطوشة العامية وان لم يكن لها أصل فصيح الاّ أن تركيبها قريب من المبرطش الفصيحة .

والغريب في بقايا الفصاح أنّا نمرّ بألفاظ نظنها في فاتحة الأمر أعجميةً ثم يتبيّن لنا بعد التدقيق أنها عربية فصيحة وان كنّا لانجد تقارباً بين المعنيين الفصيح والعامي : يجلس أحدنا في مقهى من المقاهي فيشرب القهوة أو الشاي فاذا فرغ من الشرب وضع الكأس الى جنبه ، فيسمع من صوتاً من صاحب المقهى أو من أحد الخدمة : خذ البوش أو ارفع البوش أي خذ الكأس الفارغة أو الفنجان الفارغ : ومن منّا يظن أن هذه اللفظة عربية فصيحة وان كان معناها العامي يختلف عن معناها الفصيح . فالبوش في اللغة لها معانٍ كثيرة ، من جملتها : الجماعة المختلطة أو الكثرة من الناس وغير ذلك ، ولكني لم أجد لأحد هذه المعاني صلة بكلمة البوش المستعملة في المقاهي ، وكل ما نستطيع أن نقوله إن البوش الفصيحة لاصلة لها بالبوش العاميّة وقد توسّعت العامّة في معاني هذه اللفظة فاذا أقدم فلان على مشروع ولم ينجح فيه أو اذا أخفق في أمر من الأمور عبّرت العامة عن هذا كله بقولها شُغْلُه بوش .

ومن مثل هذا التصرف في المعاني التي تطلقها العامّة على بعض الألفاظ الفصيحة فتحوّل المعنى العامي دون أن يكون صلة بين المعنيين قولها : فلان طفش ، وهي تريد بذلك أنه ذهب على وجهه إمّا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن يكون منقبض الصدر وإمّا أن يكون قد أخفق في بعض الأمور أو اذا أزعجه شيء فلا تسعه الأرض فيطفش ، أي يذهب على وجهه . ولكن ماذا نجد في اللغة ، إنّا نجد من معاني الطفش : القذر والنكاح فما الذي يربط بين المعنيين ، المعنى الفصيح والمعنى العامي ؟ .

ولا يبعد عن مثل هذا التصرف استعمال العامّة لفعل حاص ولاص ، فاذا وقع رجل في حيرةٍ من أمره أو مال الى حيلةٍ وهو يفكر في شيء وأخذ يجيء ويذهب ولا يدري ماذا يفعل قالوا فيه : حاص ، لاص كأنه يريد أن يقدم على أمرٍ فلا يقدر عليه ، والعامة تستعمل الفعلين دون حرف العطف ، وقد يستعملون فعل : لاص وحده أو حاص وحده وهم يريدون بذلك أنه حيران فلا يعلم ماذا يفعل ، وفي اللغة : حاص عنه يحيص عدل وحاد ولاص يليص حاد ، فما هو التقارب في هذين الاستعمالين بين المعنى العامي والمعنى الفصيح ؟

وكما تستعمل العامّة في بعض لغتها ألفاظاً فصيحة سواء أتقارب المعنيان الفصيح والعامي أم تباعدا ، فانها قد تستعمل تراكيب على سبيل المجاز ، فاذا أراد أحد الناس أن ينجو من رجل طويل اللسان يقع في الناس ويذمّهم قالوا له : اقطع لسانه أي أسكته بالإحسان اليه وفي اللغة : قطع لسانه أي أسكته باحسانه إليه ، فالقولان الفصيح والعامي متماثلان لا فرق بينهما ، فالعامّة كما استعملت هذا التركيب على حقيقته اقطع لسانه ، كذلك استعملته على وجه المجاز .

وقد تخترع العامّة في بعض الأحوال مجازاً فصيحاً لم يستعمل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في القديم ، من هذا الشكل قولها : فلان يلحقنا على الدَّعْسَة أي يتعقّبنا في كل أمرٍ من أمورنا ، يتعقّبنا في أخلاقنا وعاداتنا وطباعنا ليكشف عن كل عيب من عيوبنا اذا كان لنا عيب ، فالدعسة : شدّة الوطء والأثر والطعن ، أفلا نجـــد أن هذا المجاز العامي لا يخلو من طرافة .

ما أكثر ما نهتدي إليه من الطرائف في لغة العامة .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net